

الا انه من المحال ان يكون الشفاء معدوما بين الناس وغير حاصل بكل معناه ولكنه حين يقع لا يكون على المحال في الشارع والعامل في المقطع وامثالهما بل هو يقع على صاحب الادراك الواسع والاماني البعيدة الذي يدفعه سوء حظه او هفوة من هفواته الى الاضرار لان يكون حملاً وخادماً جاهداً فانه في هذه الحال يكون متحملاً مصائب النفس والجسد في آن واحد فتري يده تعمل وجسمه يتعب وذنه يجول وافكاره تضطرب واماله تروح وتبجيء والحيلة معه تشتد وتضعف بحيث يغدو كأنه قطعة مجسمة من شفاء محض وبؤس صرف

ثم انه ليس شرطاً ان يكون حملاً او حجاماً ليكون كذلك بل يكفي لشقائه ان يكون عارفاً بمنزلة نفسه ثم تخونه الاقدار بان ينزل درجة واحدة عن تلك المنزلة فانه حينئذ يكون شقياً ويكون من حقاك ان تأسى له حين تراه كذلك ولعل اكثر الذين يتحرون يكونون من رجال هذه الاوصاف لان العامل الجاهل يندر ان يتحرك كما هو الشأن في البهائم اذ يندر بينها الانتحار



الاعتمال على المال

صار للغنى بين الناس اسباب كثيرة لا تعد وذلك لفرط ما امعنوا في التحصيل ومالوا الى الاختراع والاستنباط حتى صار الانسان صنيعاً عقله وكده بعد ان كان صنيعاً بخته اومورثه ولكن الناس مع كل الذي توصلوا اليه لم يشأوا ان يدعوا هذا البخت دون ان يستفيدوا منه اذ هو ذو العلاقة الاولى بكل عمل مهما بدا في الظاهر انه لا دخل له فيه ولذلك اكثروا من المراهنات والاعتماد على الانصبه حتى صار غير غريب لديك ان تمر اليوم بالرجل فتراه حملاً وتمر به في الغد فتراه موسراً غنياً بنصيب ناله او صراهنه غنمها او مقامرة ربح بها او غير هذا مما ولدته المدنية واعانت عليه كثرة المال بين الايدي

ولكن بعض الناس كأنهم رأوا ان البخت لا قيد له ولا نظام ولا هو بمضمون النيل لدى كل محاولة فعمدوا الى التدجيل والمخرقة معتمدين في ذلك على الجوانب الضعيفة من عقول البشر كالايهام بالشفاء من الامراض المعضلة او حكاية ما يجيء به الغد والاطلاع على مغيبات القدر وقد نجح الكثيرون في ذلك نجاحاً فات النجاح من الحظوظ بمراحل

الا ان اكثر الحيل جوازاً على عقول البسطاء حتى اولي الفهم هو استنباط العقاقير والتراكيب الكيميائية وايهام الشفاء بها فانها لا يزال لها في اوربا المجال الواسع ولا صحابها منها الرزق الشامل الا انها ليست كلها ادوية

كاذبة بل ان بعضها صحيح نافع ولكن افراط الربح منها مما لا يلائم حقيقتها ولذلك تعد الى التدجيل اقرب منها الى الرزق الحلال

ولقد رووا ان رجلاً في انكلترا نال من عقاقيره ملايين من الجنيهات ببعض الحق كما نالها مستنبط الديناميت بكل الحق ولكن الرجل كان كأنه شاعر بتلك الحال فكان سخيًا متلاًفاً حتى انه وهب في اثناء حياته لانشاء الملاجيء والمستشفيات ٦٠٠ الف جنيه عدا الهبات الخصوصية ثم مات وهو على ثروة تعد بالملايين الا ان رزقه هذا لم يجيء من التوفيق فقط بل جاء من الجهد ووافر الحيلة لانه كان ينفق على اشهار دوائه ٥٠ الف جنيه اجرة اعلانات في السنة ولعل ذاك الدواء كان على شيء يذكر من النفع والا لما شاع ذاك الشيوع ولكنه بالقياس الى تلك الثروة مما لا يعد شيئاً مذكوراً

الا ان التدجيل وان كان شائعاً في كل زمان فانه كان في الماضي اكثر منه الان حيث كان الجهل مخمياً على عقول الاكثرين وحيث كانت الحكومات في شغل شاغل من الحروب والسياسات عن مراقبة الناس وما يفعلون ولذلك لم يكن ليعز على الخاذق المحتال ان يدعي ما يشاء ويوهم بما يشاء فينال ما يشاء كما حدثوا عن رجل ايطالي في منتصف القرن الثامن عشر فانه صنع دواء يباع بالقطرات وادعى انه يشفي لكل علة فصدته الجماهير حتى صار يبيع القطرة الواحدة منه بجنيهين وهي لا تسوى شيئاً ولذلك نال ثروة طائلة من دواء لم يكن له جزء من هذا الطول في الشفاء

ولقد ذكروا عن هذه الحالات شيئاً كثيراً لا يصح ان تدعى كلها مخرفة لانها كانت على شيء من النفع ولكن النجاح منها كان بواسطة الجهد

والحيلة ونشر الاعلانات في كل مكان واغراء الاطباء للاعتراف بصحتها ونحو ذلك مما يعد مقبولاً شيئاً كما انه مما يزيد في قبوله كون اصحابها كانوا بذالين وهامين الى حد السرف كأنهم يريدون بذلك التكفير عما نالوه بحق ضعيف ولكن التدجيل الصحيح هو ما رووه عن رجل توصل الى دواء سماه الفراش السماوي وزعم ان تركيبه قد كلفه ستين الف جنيه وادعى ان السعادة تأتي لمن ينام عليه ويدفع كل ليلة ٥٠ جنياً ويظهر ان كثيرين قد صدقوه فربح نحو ١٥٠ الف جنيه ولكن الله عاقبه على فعله فمات على نهاية الفقر

ولقد حدثوا عن رجل آخر احتال على الغنى بان صنع عقداً وزعم ان كل طفل يلبسه يجتاز دور التسنين دون خطر ولا ألم بالاطلاق وقد صدقه الناس حينئذ فكان يبيع العقد بخمسة شلنات للفقير وجنيه للغني وخمسة للعظيم الوجيه وبذلك نال من تدجيله سبعين الف جنيه بين عيون الناس وابصارهم وهو آمن مطمئن

الا ان العامة تعذر اذا جازت عليها حيل الخذاق البارعين في الالهام واما الحكومات التي لا عذر لها فقد جازت عليها بعض تلك الحيل وخسرت بسببها مبلغاً كبيراً وذلك ان امرأة في انكلترا توصلت الى صنع حبوب زعمت انها تشفي من الامراض فعلمت بها دار الندوة وتعهدت لها بدفع خمسة آلاف جنيه اذا اطاعتها على سر تركيبها لتنتفع بها الحكومة فوضيت المرأة وباحت لها بالسرف فاذا تلك الحبوب مركبة من مسحوق صدف البزاق وقشر البيض ولقد كان لظهور ذلك ضحك عظيم في كل البلاد

اما في الوقت الحاضر فلا نظن ان التدجيل بالغ ذلك المبلغ بين جمهور

الناس وان كان يجري بالتأكيد بين طبقات العوام دون ان يدري به
الاطباء والحكومات لان التراكيب والحبوب التي يعلن عنها في الجرائد لا
يمكن ان تكون بلا فائدة والا لما طال عمرها وكان الربح منها وفيراً ولكن
هناك مخزقات اخرى تجري دون ان ينتبه اليها وهي طب الدجالين بين العوام
وفتح الصيدليات بدون رخص قانونية والتنجيم والاطلاع على الغيب فان كل
هذا يأتي باشد الاضرار على الاجسام والعقول والحكومات ولا سيما
الشرقية غافلة عنه مع ان امره اخف بكثير من التي ذكرناها لان تلك لم
تكن الا حيلة تنفع صاحبها ولا تضر غيره الا من جهة المال واما هذه فتتفع
صاحبها وتؤدي سواه الى حد القتل وهذا ما لا حيلة فيه على ما يظهر الا
بتمدن الشعب نفسه ووصوله الى درجة التمييز . واما مسألة الصيدليات
والتدجيل ببيع العقاقير فما لا يحسن ترك علاجه الى طول الزمن لان هناك
ارواحاً كثيرة تقصر من ذلك الطول . ولقد سرنا ان حكومتنا اخذت
تعتني بامر الصيدليات وتسئ لها القوانين الضيقة حتى يدفع ثمن الدواء بمحق
وينال الشفاء بمحق



تبصر شاعر

تبارك وجه الله هل يخلد امرؤ
أراع بخطب الموت حتى كأنه
وفي كل يوم لي خليل مودع
واعلم اني ان سبقت الى الردى
هم خلقوني ما الذ بصالح
ومن ظن ان الدهر يترك ناعماً
ارى العيش ذا طعمين اري وحفظ
وقد يستوي امر الفتى ثم يلتوي
كأن لم يفرج غمة بمضيئة

* *

يظن الفتى ان الحظوظ معدة
ويشكو تصارييف الزمان ويفتدي
الا ايها الشاكي رويدك اني
ذعرت سوام الشعر في طلب المني
وظن اناس اني ابتغي الغنى
ترى زعموا ان المكارم حية
فهل كسيت تلك العظام جلودها

وان قضاء الله في الخلق سابق
لما ساء منها وهو غضبان حائق
شكوت فلم يطرق بسؤلي طارق
فالوت به من دون تلك العوائق
به فارأي تارة وانا فاق
وان الندى لم تخترمه البوائق
وردت لها ارواحها والخلائق